تأملات في ظل القصيدة

محمود سليمان الظاظا

شعر

تأملات في ظل القصيدة

محمود سليمان الظاظا

شعر

مقدمة

تأملات في ظل القصيدة
محمود سليمان الظاظا

في زوايا الصمت حيث تهمس الفكرة، وتتشكل اللغة من ظلال المعاني، وُلد

هذا الكتاب.

من "المزرعة" في بيروت، حيث تختلط رائحة البحر بصوت الأذان، وحكايات الجدران القديمة بهموم الناس العابرين، تعلمت أن القصيدة ليست مجرد كلمات... بل مأوى. مأوى لوجعٍ لا يُقال، لحبٍّ لا يُفسَّر، ولأسئلةٍ لا تحتاج إلى أجوبة.

كتبت هذه التأملات لا لأنني وجدت، بل لأنني بحثت.
لأنني وقفت طويلاً في ظل القصيدة، أراقب كيف تنمو في غفلةٍ من العالم، وكيف تُضيء شيئًا في داخلي كلما اقتربت منها أكثر.

هذا الكتاب ليس شرحًا للقصيدة، ولا تحليلًا لنبضها، بل هو محاولة للجلوس قربها... في ظلّها. حيث تتساوى الحروف والصمت، ويتقاطع الحنين بالحكمة، ويصبح الشعر طريقًا لا محطة.

إلى كلّ من يؤمن أن القصيدة ليست جوابًا، بل سؤالٌ آخر أكثر عمقًا...

أهديكم هذه الصفحات.

محمود سليمان الظاظا

بيروت – 2025

1_

المسك الفاخر

المِسْكُ يفوحُ، وإنَّهُ لَفَوَاحُ
لكنَّهُ بِذِكرِ طه أَرْجَحُ الرَّاحُ

يزدادُ طِيبًا إنْ مَرَرْتَ بِاسْمِهِ
مُحمَّدٌ، خَيْرُ البَرِيَّةِ، وَالْفَلَاحُ

2

إلى الأميرة ليونور دي بوربون
ملكة إسبانيا

أَلِعينيكِ؟
تَينك الزرقاوَينِ، الواسعتين،
كأنّهما حلمٌ لا يُفسَّر؟

تُغنّي الطيور،
تتفتحُ الورود،
يترقرقُ الينبوع،
ويعبقُ العود...

يبتسمُ القمرُ المُنير
بفرحٍ خفي،
تُزهِرُ أغصانُ الياسمين،
ويهُبُّ النسيمُ العليل،

وتتلوَّنُ السحاباتُ البيضاء،
بلمسةٍ من الأحمرِ الداكن،
كأنّ الغروبَ مرَّ بها خجولًا،

تتلألأُ النجومُ كألماساتٍ ناعمة،
ويبتسمُ القمرُ من جديد...

أِلتلكَ العينينِ
الزرقاوَينِ، الواسعتين،
كالحُلم؟

تحدثُ كلُّ هذه الأشياء
الجميلة؟

3

القصيدة السياسية

وقد كان الشاعرُ قد عاهدَ القلمْ
أن لا يخوضَ السياسةَ في الكلمْ
لكنَّ إلحاحَ القصيدِ ووهجهُ
أغراهُ بالخوضِ العميقِ في الألمْ

4

رسالة على الأبواب

كنا نلقّمُ الطعامَ في غزةَ

إلى امرأةٍ ثكلىٍ، وأطفالٍ يتامى،
إلى شهداءٍ، إلى أبناءِ شهداءٍ،
إلى جرحىً ونازحينَ وجائعينَ،
إلى هربٍ من نيرانِ جيشٍ لا يرحمُ—
جيشٍ جثَّم على الرُّوحِ وتركَ الموتَ
رسالةً على الأبوابِ.

5
سأكتب لك قصيدة

من قطرات الندى،
ومن همس أوراق الورد الجوري،
ومن عذوبة عسل الصنوبر،
سأنسج لك حروفًا... لا تشبه إلاك.

سأكتب لك قصيدة
من عبق مسك الغزال،
ومن رقة زخّات المطر،
ومن نبيذ الورد،
ومن بياض الثلج حين يحتضن الجبل.

لحظاتٌ قليلة،
أحبسها في سطور،
وأهديك إياها...
على طبقٍ من ذهبٍ خالص،
كأنها قلبي، حين يكتب لك.

_7

ميمون

لم يعُدْ شبحُ الجنِّ ميمونُ
راضيًا عن إبليسَ وجنودِه... بتاتًا.
فكلّما حضرَ مجلسَهم،
أخرجوهُ منهُ صاغرًا،
ذليلًا... مدحورًا.

لم يَعُدْ مَرْحَبًا بهِ
بينهم،
وهو — كذلكَ الأمرُ —
ما عادَ يرغبُ فيهم.

_8

عالم الشعر والشعراء

من يجرؤ... فليتقدّم،
ولينضمَّ إلى عالم الشعراء،
حيث القصيدة
تسبقُ السحابة البيضاء،
في الفضاء الرحب،
وتتّسع للدهشة،
كما تتّسع للضياع.

هنا، لا لغة إلا الإلهام،
ولا وطن إلا الخيال،
فكن شاعرًا...
إن كنتَ تجرؤ على الحلم.

9_
فكرة واحدة

فكرة واحدة،
أو حتى مئة فكرة...
قصيدة واحدة،
أو ديوانٌ بأكمله،

لا تكفي
ليحطّوا رحالهم
على الجزيرة السوداء.

فثَمة أرواح
لا تبلغها الكلمات.

10
لكِ حبُّكِ... وليَ حبّي

أرجوكِ،
دعيني منكِ... ومن حبِّكِ.
فحبُّكِ المزعومُ
لم يُخفِّف أحزاني،
ولم يُزهر وردًا
على شرفةِ منزلي،
ولم يُدخل السرورَ
إلى قلبي.

أرجوكِ،
حرّريني من حبِّكِ المزيف،
الذي لا يفضي إلى شيء،
واهجريني طويلاً...
حتى أستعيد نفسي
وأكتب للحبِّ معنى جديدًا.

_11
بقعة من الضوء

بقعةٌ من الضوء،
وفسحةٌ من النور،
صلاتي على النبي محمد،

صلى الله عليه وآله الطاهرين،
وأهل بيته الكرام.

12
مجد لبنان

مجد لبنان أعطيه،
وأهديه:
للسيد المسيح عليه السلام،
أفضل الصلاة وأزكى السلام.

13_
الطائر الشاهين

في سرّه، كان الشاهين
يردد أحيانًا بصوت خافت:
"أعوذ بالله العلي العظيم،
من شرّ حكامٍ غابت عنهم الرحمة،
آمين يا رب العالمين."

يحلق في الفضاء،
يراقب الأرض،
يحمل هموم السماء،
ويخشى من ظلّ الظلم.

14
محبة زائدة

بين الشاعرين الكبيرين،
أحمد مطر وأدونيس،
تسكن محبة زائدة...
لمح إليها أحمد مطر
بشكل خفي وأنيق
في بعض قصائده،
كأنها نبضٌ يتسلل بين السطور،
يُخبرنا بأن الشعر لا يجمعه فقط الكلمات،
بل المشاعر أيضاً.

15

الجبل السعيد

يبدو أن الحظ السيئ
سيظل ملازمني،
كذلك الضباب الأسود الكثيف
الذي يلفُّ قمر تشرين الأول،
القابع فوق جبل السعيد،
شارون – الشوفية.

16
أسباب مجهولة

وفجأة،
يقرر الشاعرُ اعتزالَ الشعر،
لأسباب مجهولة،
تنتظر أن تُفصح عنها الأيام لاحقًا.

17

رب البرايا

وأقسم الشعرُ بربِّ البرايا
أنه لا يميلُ مع الهوى،
ولكنه إذ رأى حسنَ وجمالَ النبي،
محمدٍ صلى الله عليه وسلم،
هامَ وزادَ في الهوى.

18

مدن العالم أجمع

يمضي حياته،
وسنوات عمره،
متنقلاً بين محطة وقطار،
حتى ضاق به كلُّ جهات العالم أجمع.

19
وسط الضباب الكثيف

وردةٌ ناصعة البياض،
تتوسط ضبابًا كثيفًا،
تمجد ربها سبحانه وتعالى
بأرقّ وأجلّ العبارات.

يا ليتنا

نفقهُ تسبيحها
ونسمعُ صمتها المتوهّج.

20

القمر المنير

وكان القمرُ المنيرُ
يهللُ في سكون الليل:
لا إله إلا اللّٰه،
وحده لا شريك له.

21

الذئاب والضباع الشاردة

خمسة وثلاثون ألفَ فرخِ شيطان،
وأكثر،
ليس لهم أمان،
يقوضون أمنَ بلادنا العربية:
لبنان، مصر، سوريا، فلسطين، العراق...
يسرحون ويمرحون كيفما شاؤوا،
كالذئاب الشاردة.

دأبهم تأجيج الفتن،
إشعال الحروب،
افتعال الأزمات،
وإثارة النعرات المذهبية والطائفية
بين أبناء الوطن الواحد.

نسألُ الخالق عز وجل
أن يجعل مكرهم في نحرهم،
آمين رب العالمين.

22
اللّٰه يراني

اللّٰه يراني،
يراك،
ويرانا.

مطلعٌ على كلٍّ:
عليك،

وعلينا.

لا تخفى عليه خافية.

23

أدونيس

خيّر إبليسُ اللعينُ ذات مرة،
بين أمرين اثنين:
إما أن يكفَّ وساوسه عن بني البشر،
أو أن يطالع شعرَ أدونيس...

فاختار الوسوسة،

وأبى شعر أدونيس.

24

ضباب

من فوقي،
من تحتي،
عن يميني ويساري،
وحول دفتر أشعاري،
داخل قلمي، الحبر الأزرق الناشف،

يحيطُ بإمضائي
الذي لم أودعه بعد،
أسفل الصفحة،

التي بدا لي فيها
عدة أخطاء.

25
عبثًا يحاول

عبثًا يحاول
السيطرة على فكري،
والتلاعب بمشاعري،
والجلوس بجانبي،
ليصور لي الأبيض أسود،
والأسود أبيض...
شبح الشعر.

26

نحن

هل أنا حقًا أنا؟
وأنتِ حقًا أنتِ؟
حين تغرق سفنُ الأفكار
في جزرٍ تشتعل فيها النيران...

27

صوت للحق

صوت للحق
ينادي من بعيد:
آمنوا بالله ربكم،

سبحانه وتعالى،
ولا تشركوا به شيئًا،

تغنمون، تسعدون،
وتفوزون بالنعيم
المقيم يوم الدين.

28
أصدقاء

إلى أصدقائي الموزّعين
في الجهات الخمس من العالم،
وفي القارات الأشدِّ
ريبةً من أحلامنا الوردية...

سأفرغ رأسي اليوم
من أسمائكم،
أصواتكم،
وعناوينكم المبعثرة
هنا وهناك،

وأكمل نهاري
بهدوءٍ تام.
29

نور هدايته

صاح الديكُ مُعلِنًا:
"الحمد للهِ،
بنور هدايته،
تكتملُ الصالحات."

30

صخرة الروشة

إن أضأتم صخرة الروشة
بصورة العلم اللبناني:
الأحمر، الأبيض، والأخضر،
فالخسارة واقعة،

واقعة على رؤوسنا جميعًا،
واقعة.

وإن أضأتموها بصورة
فخامة رئيس الجمهورية،
العماد جوزيف عون،
فالخسارة أيضًا واقعة
على رؤوسنا جميعًا،
يا لبنانيين، واقعة.

وإن أضأتموها بصورة
دولة رئيس مجلس الوزراء،
نواف سلام،
فالخسارة أيضًا،

وأيضًا واقعة،
على رؤوسنا جميعًا،
لا محالة، واقعة.

وإن أضأتموها بصورة
أنا، الشاعر محمود سليمان الظاظا،
فالخسارة واقعة،
واقعة على رؤوسنا جميعًا،
واقعة.

31
نهر من الماس

على مرتفعات جبل الشيخ،

وقف عالمٌ من أهل السنة والجماعة،
بعمامته البيضاء الناصعة،
رافعًا أكفّه بالدعاء
نحو السماء، قبلة الدعاء،

وآثرُ ذلك الدعاء،
يتنزّل عليه الرحمات،
كأنه نهرٌ من الماس،
ينساب في قلب الجبل.

32

قهوتي الصباحية

سأشرب معكِ
فنجان قهوتي المُرّة
على رصيفِ عين المريسة.

اخترتُها مُرّة...
كأيامنا المريرة،
وباعتراف الجميع.

33
القناع

سقط القناع...
عن قناعٍ آخر،

في غابةِ البلوطِ — الفوقا —
حيث لا شيء يختبئ طويلًا.

حتى شجرةٌ معمّرة
من البلوط الصامت،
كادت أن تهوي
على أنفِ سنجابٍ هَرِم...
كمشهدٍ ختاميٍّ
في مسرحيةٍ مُربكة.

34
لحنٌ مميّز

في رحابِ بكفيا،

أَلّف الشعر لحنًا
كلاسيكيًا، موسيقيًا،
مميّزًا للغاية.

أدّته "خورية" نبيلة،
على خشبةِ مسرحِ جبيل،
وسط ذهولٍ،
وتصفيقٍ عارم،
وإعجابٍ عميم
من جميع الحاضرين.

35

إلى سماحة الشيخ نعيم قاسم

غامر

غامِرْ بالمالِ والرِّجالِ،
بقواربِ النجاةِ،
بالرَّصَاصِ والبنادقِ،
بِنيرانِ المدافعِ،
بالراياتِ، بالقُرى والبلداتِ،
بصورِ الشهداءِ وخطاباتِ العزِّ.

غامِرْ بالكثيرِ — وبالعتادِ —
بالحناجرِ، وبكلِّ ما أوتيتَ من قوَّةٍ،
لتهزمَ عدّوكَ وعدونا.

والحياةُ، أليستْ وقفةَ عزٍّ،
شموخٌ، إباءٌ وكبرياء؟
والمعركةُ تختبرُ عزيمتكَ:
اقْبَضْ على نفسِكَ فيها،
ولا تَخشَ المنونَ.

فإمّا نصرٌ مؤزَّرٌ،
وإمّا شهادةٌ تُسجلُ علينا فخرًا.

36

البشير

لم يُؤمن الشعر،

ولا ليومٍ واحد،
بأن البشير
شهيدُ الجمهورية اللبنانية.

37
صافرة الإنذار

كلما سمعَ الشعرُ
صافرةَ الإنذار بالخطر،
هرعَ هاربًا
نحو التلالِ المجاورة،
وسفوحِ الجبالِ الشاهقة،
يتفادى اعتداءً مباغتًا

قد يقعُ... في أي لحظة.

38

يمينًا أو شمالًا

فلتهبّ الريحُ
يمينًا أو شمالًا،
ولتحمل معها ما شاءت:
غبارَ أيّامِنا القادمة،
حروفَ أسمائنا،
تنهداتِنا،
شهيقَنا،
زفيرَنا،

وأوراقَ الشجرِ الصفراء
المتناثرة على عتبةِ بيتنا.

فلتأخذ ما شاءت...
ما عدا ابتسامة الأطفال
البريئة — المعذّبة —
في غزّة.

39
الشعر

وكان الشعرُ، أحيانًا،
يُنصت في خشوعٍ
إلى تصاريفِ أقلامِ الملائكة،

على بعضِ السحاباتِ البيضاءِ الناصعة،

تكتبُ بضعَ آياتٍ
من القرآنِ الكريم،
فيها شفاءٌ
للعالمين.

40
الظاظا محمود

إن كانت إنجلترا
قد أنجبت الشاعر وليم شكسبير،
فإن لبنان
قد أنجب الشاعر الظاظا محمود.

41

أخطر ما في الأمر

أخطر ما في الحياة
أن تعيش بلا مبدأ،
وتموت بلا مبدأ أيضًا.

فالمبدأ هو النبض،
وبه تنبض الروح،
وبدونه تصبح الحياة موتًا بطيئًا.

42

فوهة بركان

يضجُّ الضبابُ من رحم الأحزان،
ينبعُ من فوهةِ بركان،
من وقفةِ عنفوان،
من قبضةِ ربان،
أو لقاءٍ
بين جبلين.

43

زرقة السماء الصافية

سأشربُ صباحَ اليومِ

الثاني من تشرين الأول،
قهوتي الحلوة،
على رصيفِ عين المريسة،
أمام زرقة السماء الصافية،
ولون البحر الأزرق الهادئ،

بينما تنسابُ على الأثير
صوتُ المذيعة الفاتنة،
سنا نصر،
وأغنيةُ الفنان زياد برجي الجديدة،
"وبغار".

44
زيتونة مقدسية

همستْ زيتونةُ القدسِ القديمة،
بالحمدِ للهِ في العُلا،
وبالسلامِ يغمرُ الأرضَ دوماً.

45
محمد صلى الله عليه وسلم

وكان كلما سمع الشعر
يذكر اسم النبي الحبيب المصطفى،
محمد صلى الله عليه وسلم،
تسلّم عليه تسليمًا كثيرًا.

46

وزارة الطاقة اللبنانية

شكرًا وزارة الطاقة اللبنانية الحالية
من كل قلوبنا،
فقد أضحى بعض المواطنين اللبنانيين
مكلفين بثلاثة فواتير شهريًا:
فاتورة كهرباء الدولة،
اشتراك المولد الخاص،
ورسوم ألواح الطاقة الشمسية.

شكرًا لكم... حقًا!

47

إلى سمو الملك محمد بن سلمان

تسعى بكل جد لبناء ملعب رياضي ضخم في الفضاء،
بقيمة مليار دولار،
بينما أهل غزة يعانون الجوع والعطش،
لا معين لهم إلا الله عز وجل.

فأين تأمل أن تصل بمخيلتك بعد ذلك؟
هل ستكون وجهتك المريخ؟
لقد سبقك إليه شعري،
فأدعوك لتأمل نصحي وإرشادي،

وأذكرك بقول الله تعالى:

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

"وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا"

صدق اللّٰه العظيم.

48

جمهورية مصر العربية

جمهورية مصر العربية،

أم الدنيا العظيمة،

تسطع بنشاطٍ لا يهدأ،

تكشفُ بكل حزم

عملاء الأعداء الخفيين،
تلك الذئاب المتخفية
المنتشرة في كل الدول العربية
بأسماء مستعارة،

تصمدُ وتقفُ صامدةً
في وجه كل مؤامرةٍ وخيانة.

49

الفضاء الرحب

كلما ضاق به
الفضاء الرحب بما اتسع،

رفع صلواته على النبي محمد
صلى الله عليه وسلم
وعلى آله الأطهار الكرام،
لينجلي همه،
وينكشف حزنه.

50
العالي القدر

وإذ قال ربك سبحانه وتعالى
لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم
في كتابه العزيز،
بسم الله الرحمن الرحيم:

"سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى"

صدق اللّٰه العلي العظيم.

أي: قدّس، نزّه، ووحدّ، وعظّم
ربّك الأعلى،
أي العالي القدر والمكانة.

51
السلطان العثماني جمال باشا

شوهد قمر صوفر
يبكي بحرارة ومرارة شديدة

على غياب السلطان العثماني جمال باشا،

ذلك الرجل الوالي، التقي، الورع الطيب،

العالم العظيم، في سيرته وسريرته،

الذي لم يساوم أو يفرط

بحبة تراب واحدة من أرض فلسطين المقدسة.

أتعجب،

ما الذي دفع إلى تذكره الآن، وبالتحديد؟

ربما هي الأحداث الإجرامية،

الدموية، والمأساوية،

التي تعصف بغزة اليوم

بيد الصهاينة المجرمين.

52

أشجار الصفصاف

كانت أشجار الصفصاف
تعانق الفضاء الرحب بحفاوة،
وكأنها تبوح له بأسرار دفينة،
مختبئة في أعماقها
منذ سنوات طويلة.

53

عشتار

فكر يوماً أن يعتزل الشعرَ نهائياً،
فبرز له شبحُ الشعرِ منادياً:
"لا تفعل، حباً بعشتار، لا تفعل!
فنجْمُك ما زال ساطعاً
في سماء الشعرِ،
فلا تعتزل، بل استمر."

54
شهادة الشعر

ويشهدُ الشعرُ،
أنَّ النبيَّ محمدًا
صلى اللّٰه عليه وسلم،

هو رسولُ اللّٰهِ بالحق،
مبعوثٌ إلى جميع خلقه،
من الإنس والجنّ على سواء.

55
محيطات بأكملها

لقد صدق الشاعر سيف الدين الرحبي
حين قال:
"لو فتحت أوروبا أبوابها للعرب،
لأفرغت محيطاتٍ بأكملها."

في عبارةٍ موجعة،
اختصر حجم الألم،

وضياع الأمل
في الأوطان.

56
كلام اللّٰه عز وجل

لا كلام يعلو
على كلام اللّٰه عز وجل،
خاصة فيما أخبر به عن السيد المسيح عليه السلام.

يقول ربُّنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم﴾

صدق الله العلي العظيم.

خاتمة

في نهاية الظل... بداية القصيدة

حين بدأتُ هذا الكتاب، لم أكن أبحث عن نهايات، بل عن لحظات صغيرة تتكئ على القصيدة لتتنفّس، وتتأمل، وتنجو.

هذه الصفحات لم تكن إجابات، بل محاولات متواضعة للفهم، للبوح، وربما

للصمت في حضرة الشعر.

في ظل القصيدة، اكتشفت أن الشعر ليس فقط ما يُقال، بل ما يُشعَر.

ليس فقط ما يُكتب، بل ما يُعيشه القلب ويصمت عنه اللسان.

قد لا تنتهي القصائد، حتى حين نضع النقطة الأخيرة.

وقد لا تتوقف التأملات، حتى بعد إغلاق الكتاب.

لهذا، أضع قلمي هنا...

لا لأنني انتهيت، بل لأنني وصلتُ إلى حيث يمكن للقارئ أن يُكمل الطريق وحده، في ظلّ قصيدته هو.

إلى من حمل هذه الكلمات بعينيه وقلبه...

شكرًا لأنك كنت شريكًا في هذا التأمل.

محمود سليمان الظاظا

بيروت – 2025